عروض كتب ودراسات

الأطفال وفنونهم (التربية الفنية في المدارس)

مقال مترجم من كتاب Children and Their art

د. هالة إبراهيم أحمد رمضان

أطفالنا والتربية الإعلامية بين مطرقة الإنترنت
وسندان التيك توك - المخاطر والحماية

د. محمد محمود العطار

"حالة أطفال العالم لعام 2023م: لكل طفل لقاحات" تقرير اليونيسف

عرض: أ.د. خالد صلاح حنفي محمود

الأطفال وفنونهم

(التربية الفنية في المدارس)

مقال مترجم عن كتاب Children and Their art

by Michael Day (Author), Al Hurwitz (Author)

د. هالة إبراهيم أحمد رمضان *

منذ سنوات عديدة، انخرط البالغون في رسم الصور والتلوين وأشكال فنية أخرى ترتبط بالأطفال. لقد أظهرت دراسات عديدة لعلماء النفس والتربويين والآباء، وغيرهم من المهتمين بفنون الأطفال، الفوائد العديدة لهذا النشاط؛ ومن خلال تحليل منتجات فن الأطفال، يظهر أنها نافذة تفتح على قلوبهم وعقولهم؛ مما يساعدنا على فهم طريقة تفكيرهم وتعرفنا على مشاعرهم ونموهم الشخصي. يُدرس رسم الأطفال كوسيلة للتعبير عن مشاعرهم وتطوُّر شخصياتهم.

وقد لاحظ بعض المتخصصين في هذا المجال اختلافات واضحة في طُرُق رسم الأطفال وتلوينهم؛ مما يساعد في فهم أهدافهم من هذه الأعمال. يمكننا من خلالها تقييم وتحليل هذه الأعمال، ونغوص في دراسة المشاعر والنمو الإدراكي الفني للأطفال؛ حيث يمتلك كل طفل إمكاناتٍ فريدةً وخبراتٍ متنوعة، وبما أن الفن يُصبح وسيلة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وتجاربهم، فإن إنتاجهم الفني يكون دائمًا مميزًا. وعلى الرغم من أن معظم الأطفال في نفس العمر يمرون بتجارب متشابهة، فإنهم يظلون فُرادَى في تفاصيلهم الشخصية.

في هذا السياق، كيف يمكن للأعمال الفنية للأطفال أن تعكس جوانب من شخصيتهم؟ وكيف يستخدم الأطفال التعبير الفني للتعامل مع المواقف العاطفية في حياتهم؟ هل ينبغي للمعلمين محاولة تفسير الصحة النفسية للأطفال من خلال تحليل أعمالهم الفنية؟

* دكتور منتدب بكلية التربية - جامعة الإسكندرية، باحثة بالدكتوراه بالقياس النفسي للأطفال والبالغين.

في سِنٍّ مبكرة، يكون الأطفال قادرين على التعبير بأي طريقة وبأي شكل، لكن مع تطورهم وتحسين مهاراتهم الحركية والنفسية، يتمكنون من التعبير بشكلٍ أكثر تعقيدًا في أعمالهم الفنية. في سن 3 و4 سنوات، قد لا يكون الأطفال مهتمين بإنتاج فني كما يعتبره الكبار. ولكن مع مرور الوقت والتعليم المبكر، يصبح إنتاجهم الفني أكثر وضوحًا وتعبيرًا. في تلك المرحلة، يعكس الإنتاج الفني للأطفال غالبًا علاقاتهم الشخصية، سواء مع الأشقاء أو الحيوانات الأليفة أو حتى الشخصيات الخيالية؛ مما يساعدهم على استكشافها من خلال الرسومات واللوحات وحتى الطين.

غالبًا ما يتمكَّن الأطفال من دمج عوالم الخيال والواقع في إبداعاتهم الفنية. في بعض الأحيان، يمكن رؤية فهم الأطفال لكيفية عمل أجزاء من العالم الحقيقي في أعمالهم الفنية، مثل رسم أفراد الأسرة المشاركين في الأنشطة، والحيوانات، والمنازل، والسيارات، والطائرات، بالإضافة إلى التعامل مع مخاوفهم الشخصية وتطلُّعاتهم.

بسبب القدرات الساذَجة التي يُظهرها الأطفال الصغار في الرسم والتلوين عن حياتهم العاطفية بطرق غير مقيدة للغاية، يفهم البالغون تمامًا الاهتمام الكبير الذي يُولُونه لأعمالهم الفنية. في الأعمار المبكرة، يميل الأطفال إلى رسم وتلوين الأشخاص والأحداث في حياتهم - سواء أكانت سعيدة أم حزينة - والتي تحمل معاني خاصة بالنسبة لهم. يُعدُّ هذا النوع من التعبير ممارسةً طبيعيَّةً وصحيَّة للغاية يمارسها الأطفال في جميع أنحاء العالم؛ لذلك يدرك معلمو الفن هذا الجانب ويشجعون الأطفال على اكتشاف اهتماماتهم الطبيعية؛ مما يساعدهم تدريجيًا على توسيع فهمهم لعالم الفن.

مراحل التمثيل الجرافيكي

يعرف المعلمون ذوو الخبرة، الذين يعملون مع الأطفال في مستويات عمرية معينة، الكثير عن كيفية سلوك الأطفال في تلك المراحل. عندما يتحول الأطفال من صفٍّ إلى آخر، يخصصون نسبًا كبيرة من مجالات علم نفس النمو وعلم النفس المعرفي لدراسة هذه التغيُّرات التنموية لدى الأطفال. يهتم المعلمون بنتائج هذه الدراسات لأنها قد تؤثر على عمليات التدريس والتعلم في المدارس، ويسعون باستمرار لجعل بيئات التعلم في المدرسة أكثر ملاءَمةً لخصائص نمو الأطفال عبر مختلف المستويات العمرية.

على سبيل المثال، يختلف تنظيم مراكز التعلُّم التي يستخدمها الأطفال في الفصل الدراسي بينما يعمل آخرون في مجموعات القراءة أو أنشطة أخرى، يختلف كثيرًا عن النظام القديم في القرن التاسع عشر، حيث كانت المكاتب مثبتة على الأرض في صفوف الدروس، ويشارك جميع الطلاب في دروس تُنسخ من السبورة.

تطور قدرات الأطفال في مجال الفن وفهمهم له تتزامن بشكلٍ مُوازٍ مع التغيُّرات في الأبعاد المعرفية والعاطفية والاجتماعية والجسدية لحياتهم. فكرة تقدُّم الأطفال عبر مراحل نُموِّهم في هذه المجالات المختلفة تُعدُّ أساسًا في دراسات علم نفس النمو، كما تناولها "لوينفيلد" و"بياجيه" و"غاردنر" وغيرهم.

يعتمد الفن على تقدم الوعي، ويُعزى ذلك أساسًا إلى الاختلافات الفردية في عقول الأطفال وتجاربهم الحياتية مع تقدمهم في السن. على الرغم من وجود مشاكل جوهرية في هذه الافتراضات عندما نقترح أن الأطفال يجب أن يتعلموا الفن، فإن المعلومات الأساسية المتاحة من خلال دراسة مراحل وتغيُّرات الرسم والتفكير للأطفال يمكن أن تكون ذات قيمة كبيرة للمعلمين. يمكن أن توفر فهمًا لمراحل النمو الفني للأطفال رُؤًى حول ما يحاول الأطفال تحقيقه في أعمالهم الفنية، والطرق التي يمكن من خلالها توفير التحفيز والتعليم المناسب.

ينمو الأطفال ويتطورون بطرق قابلة للتنبُّؤ بشكلٍ عام، مع وجود اختلافات واسعة ضمن الفئات العمرية والمراحل. تشهد مستويات القراءة تباينًا كبيرًا في فصول الدراسة التي تتألف من خمسة وعشرين إلى ثلاثين طفلًا، وهذا التباين يزداد مع كل مرحلة دراسية، وكذلك تختلف قدرات الأطفال في الفن بشكلٍ كبيرٍ أيضًا. ومن هنا، يمكن للمعلمين بشكلٍ عام أن يكونوا على دراية بما يمكن توقُّعه والتخطيط له عند تصميم برامجهم الفنية؛ مما يساعدهم في التنبؤ بقدرات الأطفال الفنية والاستعداد لاحتياجاتهم التعليمية الفريدة.

تبرز شخصية الأطفال بشكلٍ أكثر وضوحًا من خلال تطورهم الفني، وتعدُّ مراحل هذا التطور معايير مفيدة يمكن أن توجه المعلمين، ولكن يجب ألَّا تُعدُّ أهدافًا للتعليم بحد ذاتها. يمكن رؤية آثار البيئة التعليمية الداعمة والإيجابية في أعمال الفن للأطفال؛ مما يمكن أن يسهم في غَناء تجربتهم وتسريع تقدمهم من خلال جهود المعلمين المتمكنين والحساسين.

يُعد الرسم نشاطًا طبيعيًا وعالميًا للأطفال دون سن الخامسة في جميع أنحاء العالم. منذ الصِّغَر، يقوم الأطفال بوضع العلامات والخربشة والرسم باستخدام أي أدوات متاحة. بمجرد

أن يمسكوا بأداة كالألوان أو الأقلام أو حتى الأدوات غير التقليدية مثل أحمر الشفاه أو قطعة فحم، يبدءُون في وضع العلامات والخربشات. بعض البالغين قد لا يشجعون هذا السلوك لدى أطفالهم؛ خاصةً عندما يحدث على الجدران أو الأسطح غير المخصصة للرسم، لكن في الحقيقة، يمكن أن تكون الخربشة نشاطًا تعليميًا مفيدًا للأطفال الصغار للغاية. من خلال الخربشة، يترك الطفل "علامة على العالم" حرفيًا؛ مما يُسهم في إدراكهم الجسدي والبصري لقدرتهم على التأثير على بيئتهم.

التربية الفنية في الفصول الدراسية المعاصرة (قضايا وممارسات):

الفن أهمية وليس مجرد تسلية:

أثار الفيلسوف التعليمي الشهير "هاري س. برودي" هذا السؤال البارز ببلاغة: "ما دورُ الفن في التعليم العام؟"، وأشار إلى أنه إذا كان الفن عنصرًا أساسيًا في التعليم المتوازن، فلا ينبغي لنا أن نشكَّ في ضرورة إدماجه في المناهج الدراسية العادية للمدارس الابتدائية والثانوية. إذا كان الفن مجرد شيء "لطيف" يأتي بعد العمل "الجاد" في المدرسة، كما يدَّعي برودي، فليس له مكان في المنهج الدراسي. هناك العديد من التجارب الممتعة التي يمكن للأطفال الانخراط فيها، وكل منها يلبِّي الغرض المطلوب بشكل ملائم.

تاريخ التربية الفنية يكشف أنه في بعض الأحيان يتم تقديم الكثير من الوعود أو الادِّعاءات حول دور الفن كمادَّة دراسية في المدرسة. في الأدبيات، نجد أن الفن يمكن أن يعزز الإبداع، ويُسهم في تنمية الشخصية، ويحسِّن الالتحاق بالمدرسة، ويعزز مهارات القراءة، ويحفز الجانب الأيمن من الدماغ. كل هذه الادعاءات تمتلك أساسًا صحيحًا يستند أحيانًا على الأبحاث التربوية. ومع ذلك، لا يُعدُّ أيٌّ من هذه الادعاءات فريدًا لتعلُّم الفن، فكل واحد منها يمكن تحقيقه من خلال مجالات أخرى في المنهج الدراسي بالإضافة إلى مادة الفن.

لذا؛ تم وضع برنامج متوازن للتعليم الفني يدمج دراسة الجماليات، والنقد الفني، والتاريخ الفني، والإنتاج الفني؛ مما يشجع الأطفال على المشاركة الفعلية في صناعة الفن بدلًا من مجرد اعتباره هواية. يُعلَّم الفن لأنه مثل العلم واللغة؛ يُسهم في تعزيز التفكير النقدي حول الأعمال الفنية وفهم السياقات التي نشأت فيها، وتناول الأسئلة الأساسية المتعلقة بالفن.